التعليق على رسالة ابن رجب

أسباب المغفرة

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الجلسة الأولى

يوم الأحد ٣ ذو الحجة ١٤٤٠

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

نِعَمٌ عظيمة يعيشها المسلم في هذه الأيّام، يتعرّض فيها لنفحات ربّه فما من أيّام العمل الصّالح أحبّ إلى الله من هذه الأيّام، فالحمد لله الّذي مدّ في الأعمار، والحمد لله الّذي رزق الصّحّة، نسأله سبحانه أن يرزقنا فراغًا من كلّ شغل غير طاعته، وعبادته؛ ونحن متأمّلون في أن الشّغل اليوم سيكون غدًا - بأمر الله – شغلا في جنّات النّعيم؛ فإنّ الله قد وعد كما في **سورة يس**، وعد، وأخبر، ووصف، عن أهل الجنّة: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ (٥٥) هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ (٥٦) لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[1]، فالحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله ربّ العالمين، نسأله سبحانه وتعالى أن يُفرغنا من كلّ شغل إلاّ طاعته، وعبادته، وطلب مغفرته، ورحمته، اللّهمّ آمين.

---

[1] [يس ٥٥_٥٨]

وهذه الآيات في **سورة يس**، لاحظت كثيرا - والله أعلم - أنّ الأئمّة، أئمّة الحرم المكّي، والمدني، وحتّى أئمّة المساجد؛ ما يفوتهم في السّنة أن يقرؤوها مرّتين، ثلاثة، أو أكثر، يتغنّون بالقرآن، ويُذكّرون أنفسهم: أنّه **إذَا أنت اليوم في شغل من طاعة الله، فغدًا أنت في شغل بنعيم الله**، يا ربّ نسألك من فضلك.

واليوم - إن شاء الله - في هذه السّاعة الّتي هي من نِعَمِ الله علينا؛ حيث أفرغنا في هذه الأيّام للطّاعة، الله يتقبّل منّا جميعًا، ومن المسلمين حجّاج بيت الله، وقاصديه بقلوبهم، وأبدانهم، وحجّاجه بالقلوب، الله يقبل منّا جميعا؛ سنتكلّم عن **"أسباب المغفرة"** وهي أكثر ما يطمع الإنسان فيه في زمن الطّاعة.

سنقرأ هذه الرّسالة المعنونة بـ**"أسباب المغفرة"**، لابن رجب، رحمه الله.

يقول: (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حديث جامع في الاستغفار**[٢]: **عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يقول: ((قَالَ اللهُ تَعَالَى: يا ابن آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ مِنكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابنَ آدَمَ، لَو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ ثُمَّ استَغفَرتَنِي غَفَرتُ لَكَ. يَا ابنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَو أَتَيتَنِي بِقُرَابِ الأَرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشرِكُ بِي شَيئًا لأَتَيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغفِرَةً))**[٣].)

هذا الحديث من الأحاديث المشهورة جدّا، وهو حديث قدسيّ، وقد ذكر

---

[٢] هذا الحديث وشرحه مأخوذ من كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب وهو الحديث رقم: (٤٢).

[٣] رواه الترمذي: (٣٥٤٠)، وقال: حديث حسن.

ابن رجب، في أوّل الرّسالة الّتي نقرأها، كلاما عن سنده؛ بيّن فيه طُرُق هذا الحديث، إلى أن نصل إلى الصّفحة رقم: ٥، يقول: (ورُوي بعضُه من وجوه أخَر: فخرَّج مسلم في صحيحه من حديث معرور بن سويد، عن أبي ذر، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، قال: ((يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَن تَقَرَّبَ مِنِّي شِبرًا تقرَّبتُ منهُ ذِرَاعاً، وَمن تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبتُ مِنهُ بَاعًا، وَمَن أَتَانِي يمشِي أَتَيتُهُ هَروَلةً، وَمَن لقِيَنِي بِقُرابِ الأَرضِ خَطِيئَةً لَا يُشرِكُ بِي شَيئًا لَقِيتُه بِقُرَابِهَا مَغفِرَةً))[٤]. وخرَّج الإمام أحمد من رواية أخشن السدوسي، قال: دخلت على أنس، فقال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يقول: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمْلأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللهَ لَغَفَرَ اللهُ لَكُمْ))[٥].) الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله.

(وقد تضمن حديث أنس المبدوء بذكره أن هذه الأسباب الثلاثة يحصل بها المغفرة.)؛ إذن: سيعتمد حديث أنس، الّذي أتى له بشواهد، ما طريقة ابن رجب؟ أتى بالحديث الأساس الّذي يريد أن يستخرج منه أسباب المغفرة؛ وهذا الحديث من حيث درجته أقلّ من الحديثان اللّذان أوردهما بعد ذلك، **يعني**: الّذي خرّجه مسلم، والّذي خرّجه الإمام أحمد.

ابن رجب أورد الحديث الأوّل، وقال: (حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه.)، وقال: (إسناده لا بأس به)، ونقل كعادته الكلام عن الإسناد؛ وهذه عادة متّبعة عند العلماء: أن يأتوا بالحديث، ويذكرون لك إسناده،

---

[٤] أخرجه مسلم برقم: (٢٦٨٧).

[٥] في المسند برقم: (١٣٤٩٢).

خصوصا لو كان إسناده فيه: تُحُدّثَ فيه. ثمّ هو يريد أن يشرح هذا الحديث الأساسي. ماذا يفعل؟ ينتقل من الحديث، إلى شواهد على هذا الحديث؛ تكون الشّواهد صحيحة، يعني مثلا: من "صحيح مسلم"، ومن "صحيح البخاري"، وهنا أيضا أخذ شاهدًا صحيحًا من حديث الإمام أحمد؛ فبهذا يُصبح، يعني كأنّه يقول لك: (يصبح الحديث عندي مقبولا من جهة متنه)، ما يحمله الحديث من معانٍ مقبول؛ لأنّ هذا المعنى موجود أصلا في هذا الحديث وفي هذا الحديث.

- إن شاء الله – نكون هكذا خرجنا من المشكلة الكبيرة الّتي دائما يُشَوَّشُ علينا بها، عندنا مشكلتان:

١) **المشكلة الأولى:** مشكلة كبيرة جدّا، **وهي:** الطّعن في أحاديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

٢) **المشكلة الثّانية:** مشكلة أقلّ منها، النّاس الّذين قد وثقوا أنّ هناك أحاديث للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، يخرج لهم أُناس يقولون لهم: (هذا الحديث الّذي اشتُهر؛ ضعيف!)! نعم، بمثل هذا الموقف الّذي نحن فيه؛ الحديث حتّى لو كان فيه ضعف؛ الشّواهد تقوّيه، وإذا الشّواهد تقوّيه، واختار أهل العلم هذا اللّفظ، وقبلوه على ضعفه، فتكون المشكلة.

أين تكمن المشكلة؟ المشكلة أنّ هذا الحديث أصبح ضعيفًا لأنّ في سنده رجال يُعتبرون ضُعفاء عند العلماء. ضُعفاء، يعني: ما يُقبل منهم الحديث. ركّزوا جيّدا الآن: ما يُقبل منه الحديث. متى ما يُقبل منه الحديث؟ ما يُقبل

منه الحديث إذَا انفرد بالحديث وما جاء إلاّ من عنده؛ بهذا يكون الحديث غير مقبولٍ؛ يُخشى أنّه كذب على رسول صلّى الله عليه وسلّم. لكن أن يكون حديث صحيح، وموجود له شواهد؛ إذن هذا يجعلنا نقول: أنّ هذا الرّجل لم يكذب في هذا الحديث.

كذلك هناك سبب آخر مع هذا السّبب، هذا المعنى له شواهد، والألفاظ فيها شَبَهٌ من ألفاظ حديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، حديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم، يعرف ألفاظه أهل العلم معرفةً تُشبه مَعرفةَ صاحب الذّهب بالذّهب الصّحيح والذّهب المغشوش.

فلمّا يكون هذا الحديث له شواهد، ويأتي الأمر الثّاني: والألفاظ تشبه ألفاظ أحاديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ يصبح الأمر في غاية البيان.

وأنا أأكّد على هذا بسبب أنّ هناك أحاديث تلقّاها العلماء بالقبول؛ لمّا تسمعي هذه الكلمة تفهمين هذين السّببين الماضيين، أنّ هذا الحديث لماذا صار ضعيفًا؟ ما الّذي ضعّفه؟ رجال موجودون فيه؛ فهؤلاء الرّجال حُكم عليهم بأنّهم ضعفاء؛ يدلّسون، يكذبون، ليس شرطًا أن يكونوا كلّهم يكذبون، أحيانا التّدليس، أحيانا النّسيان والتّخليط.

يمكن أن يكون كذب، أو أخطأ، أو دلّس في ١٠٠ حديث، لكن في ١٠٠ أخرى ما دلّس! ما الّذي يبيّن لنا هذا؟ فهذا الحديث إذَا كان له شواهد في موطن آخر، وألفاظ هذا الحديث تُشبه الألفاظ النّبويّة، وهذان السّببان يأتيان بالثّالث: وتلقّته الأمّة بالقبول، يعني: العلماء الكبار قبلوه وأصبحوا يستشهدون به. مثل: حديث: ((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ

أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[٦]، هذا الحديث ينطبق عليه نفس هذا التّطبيق: فيه رجال ضعاف، لكن هناك أحاديث تدلّ على خيريّة يوم عرفة، وخيريّة الدّعاء، وخيريّة كلمة لا إله إلاّ الله، وأنّها من أفضل الذّكر؛ فالحديث معانيه كلّها صحيحة، فتلقّته الأمّة بالقبول، فمادامت تلقّته الأمّة بالقبول، إذن الحمد لله.

الحقيقة ما أردت أن يذهب الوقت في الكلام عن هذا، لكن فقط لعلاج المشكلة الّتي أتتنا في هذا الباب.

(**حديث جامع في الاستغفار: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يقول: ((قَالَ الله تَعَالَى: يا ابن آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ مِنكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابنَ آدَمَ، لَو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ ثُمَّ استَغفَرتَنِي غَفَرتُ لَكَ. يَا ابنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَو أَتَيتَنِي بِقُرَابِ الأَرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشرِكُ بِي شَيئًا لأَتَيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغفِرَةً))**.)

نبدأ الآن بالسّبب الأوّل: (**السبب الأول: الدعاء مع الرجاء: أحدها: الدعاء مع الرجاء؛ فإن الدعاء مأمور به وموعود عليه بالإجابة.**) معنى ذلك: ((إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ))، ولاحظوا: أنت ستدعو

---

[٦] جامع الترمذي ـ كِتَاب الدَّعَوَاتِ ـ حديث رقم ٣٥٣٩

وترجو شأنا عامّا فيكون أثره المغفرة (كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٧].) إذن: نفس الدّعاء مأمور به، وموعود عليه بالإجابة. (وفي السنن الأربعة عن النعمان بن بشير، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: ((إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ))، ثم تلا هذه الآية[٨].) آية سورة غافر.

(وفي حديث آخر خرَّجه الطبراني مرفوعًا: ((مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ، أُعْطِيَ الْإِجَابَةَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى، يَقُولُ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾)). وفي حديث آخر: ((مَا كَانَ اللهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ، وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ)). لكن الدعاء سبب مُقْتَضٍ للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه، وقد تتخلف الإجابة لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه، وقد سبق ذكر بعض شرائطه وموانعه وآدابه في شرح الحديث العاشر[٩].) في الهامش ستجدون أنّ الحديث العاشر هو: الحديث العاشر من الأحاديث النّبويّة، الّتي شرحها ابن رجب: ((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))؛ إذن: الدّعاء مقتضٍ للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه.

(كما خرَّجه الترمذي من حديث أبي هريرة، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، قال: ((ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ))[١٠]) لابدّ أن تعرف ما تقول (وفي المسند[١١]

---

[٧] [غافر ٦٠]

[٨] أخرجه الترمذي برقم: (٣٢٤٧). وقال: حديث حسن صحيح.

[٩] المراد به الحديث العاشر من أحاديث الأربعين نووية وهو حديث: ((إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا)).

[١٠] أخرجه الترمذي برقم: (٣٤٧٩)، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلّا من هذا الوجه.

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، قال: ((إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ وَ أَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ؛ فَإِنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دُعَاءً منْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ)).، ((الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ)) وهذه كلمة ((أَوْعَى))، و (وَاعٍ)، كلمة مستخدمة، فلابدّ أن تكون واعيا لِمَا تدعو.

(ولهذا نُهِيَ العبد أن يقول في دعائه: ((اللهمَّ اغْفِرْلِي إِنْ شِئْتَ،)).، بمعنى: ما يظهر حاجته، ورجاءه، وفقره لربّ العالمين. (((وَلَكِنْ لِيَعْزِمْ المسْأَلَة، فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ))[1]. ونُهي أن يستعجل ويترك الدعاء).

يشير هنا باختصار لآداب الدّعاء. (ونُهي أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة، وجعل ذلك من موانع الإجابة؛ حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه ولو طالت المدة فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء، وجاء في الآثار: ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَعَا رَبَّهُ وَهُوَ يُحِبُّهُ، قَالَ: يَا جِبْرِيْلُ، لَا تَعْجَلْ بِقَضَاءِ حَاجَةِ عَبْدِي؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ)).) سبحان الله العظيم أمر عجيب!

(وقال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]. فما دام العبد يلح في الدعاء، ويطمع في الإجابة غير قاطع الرجاء فهو قريب من الإجابة، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له. وفي صحيح الحاكم عن أنس مرفوعًا: ((لَا تعجزوا عَن

---

(1) مسند الإمام أحمد برقم: (٦٦٥٥).

(1) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٣٩).

(1) [الأعراف ٥٦]

الدُّعَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ))[1]) -سبحان الله!- ((لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ))؛ ولذَا طمعنا في صلاح أبنائنا، وصلاح أنفسنا، واستقامة بعض طباعنا؛ كلّ هذا يبقى في نفس الإنسان مُحرّكًا له للدّعاء، ويبقى الإنسان طامعا في الله، لابدّ أن: تهتمّ به، وتدعو به، وترجو ربّك:

- **تهتمّ به**، هذا سيذكّرك في كلّ وقت أن تدعو.
- **وترجو**، هذا الأمل يحدوك دائما على أن تبقى تدعوا، ما تيأس.

(ومن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه أوما يستلزم ذلك، كالنجاة من النار، ودخوله الجنة.

وقد قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: ((حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ))[1]) في الحديث المشهور، الّذي أتى أعرابي للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وسمعه يدعو، وسمع معاذا رضي الله عنه يدعو؛ فلمّا سمعهما، قال للرّسول صلّى الله عليه وسلّم: ((أَمَا وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ))، ماذا تقول؟ ((قَالَ: أَتَشَهَّدُ، ثُمَّ أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ))، قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ))، حول ما تقول نحن ندندن، وهو: (سؤال الجنة والنجاة من النار.).

(وقال أبو مسلم الخولاني: "ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلّا صرفتها إلى الاستعاذة منها".

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم: (١٨١٨).

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٧٩٢).

ومن رحمة الله تعالى بعبده أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا فيصرفها عنه، ويعوضه خيرًا منها:

- إما أن يصرف عنه بذلك سوءًا.

- أو أن يدخرها له في الآخرة.

- أو يغفر له بها ذنبًا.)

((إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ))، بمعنى: أنّ الدعاء والرّجاء سيجعل الإنسان معتادًا على الدّعاء، فتتكوّن هذه العادة الإيمانيّة العظيمة؛ فإنّه كلّما احتاج أمرًا هرب إلى الله، فإذَا تحقّق هذا في نفسه، مع تعظيمه لربّه، يعني: هذا مع التّعظيم؛ يُتصوّر أنّه لابدّ أن يذكر الآخرة، فيدعو بالمغفرة، أو حتّى وهو في حوائجه الدّنيويّة يذكر أنّ هذه الحاجة محبوسة بذنب من الذّنوب، فيتوب ويستغفر. وهذا الدّعاء في كلّ الأحوال؛ أيّ دعاء معرّض أن يُستجاب أو لا يُستجاب لصاحبه في الدّنيا بتحقيق هذا الشّأن له، لكن يمكن أن يصرف بذلك عنه سوءًا، أو يدّخره له في الآخرة، أو يغفر له بها ذنبًا.

((إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ))، بمعنى: أنّ الدعاء تعريض للنّفس للمغفرة.

(وفي المسند وصحيح الحاكم عن أبي سعيد، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، أو قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا

لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكشِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا)). قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ،) هذا هو الفهم، (قَالَ: ((اللهُ أَكْثَرُ))[1]) وأنت ما الّذي يضرّك في كونك تُكثر من الدّعاء، ثمّ تأتيك من ورائه الإجابة بهذه الأنواع كلّها! ولذَا الصّحابة كانوا يدعون الله عزّ وجلّ حتّى بالملح من الطّعام، لماذا؟ يعرفون أنّ هذا إمّا استجابة في الدّنيا، وإمّا وراءه ما وراءه من الخيرات - والحمد لله - يرون هذا دائما خير وبركة. (وخرَّجه الطبراني وعنده: ((إِمَّا أَنْ يَغْفِرَ لَهُ بِهَا ذَنْبًا قَدْ سَلَفَ)) بدل قوله: ((وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا)).

وبكل حال، فالإلحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله تعالى موجب للمغفرة، والله تعالى يقول: ((أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بِي فَليَظُنَّ بِي مَا شَاءَ))[2] وفي رواية: ((فَلَا تَظُنُّوا بِاللهِ إِلَّا خَيْرًا)).) إذن: ((إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ))، يعني: إذَا دعوت ورجوت المغفرة، وهذا الفهم الظّاهر؛ والحديث يدلّ على أنّ الإنسان لابدّ أن يكون من ديدنه كثرة الصّلة بالله عند كلّ حاجة، وأن يكون ملحًّا في ذلك.

(ويُروى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر مرفوعًا: ((يَأْتِي اللهُ تَعَالَى بِالْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَرِّبُهُ حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي حِجَابِهِ، مِنْ جَمِيعِ الخَلْقِ، فَيَقُولُ لَهُ: اِقْرَأْ صَحِيفَتَكَ،) الآن هذا المؤمن، (فَيُعَرِفُهُ ذَنْبًا ذَنْبًا، أَتَعْرِفُ؟ أَتَعْرِفُ؟) يعني: أتعرف كذا من الذّنوب؟ (فَيَقُولُ: نَعَمْ نَعَمْ، ثُمَّ يَلْتَفِتُ العَبْدُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ يَا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١١١٣٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٦٠١٦).

عَبْدِي، أَنْتَ فِي سِتْرِي مِنْ جَمِيْعِ خَلْقِي،) وهذا شيء طبيعي أنّ الإنسان يستحي؛ فهذا من الطّبيعي، فيطمئنه ربّ العالمين أنّه في السّتر. (لَيْسَ بَيْنِي وبَيْنَكَ اليَوْمَ أَحَدٌ يَطَّلِعُ عَلَى ذُنُوبِكَ غَيْرِي، اذْهَبْ فَقَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ، بِحَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ جَمِيْعِ مَا أَتَيْتَنِي بِهِ. قَالَ: مَا هُوَ يَا رَبِّ؟ قَالَ: كُنْتَ لَا تَرْجُو العَفوَ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِي)). ما أعظم التّوحيد! وهذا يذكّرنا: بسيّد الاستغفار: ((فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ))[1] كيف يكون العبد جامعا فؤاده على الرّجاء فقط في الله، أن يستره، ويغفر له ذنوبه.

(فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنبًا لم يرج مغفرته من غير ربه،) معنى ذلك: لمّا يُذنب الإنسان؛ أكبر همّ يحمله، هو: أن يغفر له ربّه، ولا يرجو لهذه المغفرة إلاّ ربّ العالمين، ولا يجعل بينه وبين الله أيّ وسائط. يقول: (وقد سبق ذكر ذلك في شرح حديث أبي ذر: ((يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي))[2] الحديث[1]) وهذا الحديث أيضا من أحاديث الأربعين النّوويّة.

(وقوله: ((إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي))[1] يعني: على كثرة ذنوبك وخطاياك، ولا يتعاظمني ذلك ولا أستكثره.) فسبحان من عالج اليأس، وفتح باب الرّجاء؛ مهما كانت الذّنوب ومهما كانت المعاصي، فالحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) الأدب المفرد للبخاري ـ حديث رقم ٦١٥

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧).

(٢) هذا الحديث رقم: (٢٤) من أحاديث الأربعين النووية.

(٢) سبق تخريجه.

ولذَا في هذا الموسم المبارك؛ من المفروض على الدُّعاة وطلبة العلم، أن يكثروا من ترجية النّاس وفتح باب الآمال أمامهم، وترك تَيئيسِ النّاس وتقنيطهم من رحمة الله، نعوذ بالله أن نكون سببا في ذلك.

(وفي الصحيح عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، قال: ((إِذَا دَعَا أَحَدٌ فَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ الله لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ))[٢]) فالحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

(فذنوب العباد وإن عظمت فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها وأعظم، فهي صغيرة في جنب عفو الله ومغفرته.) لكن لابدّ أن يأتي العبد بما يدلّ على ذلك، بما يدلّ على أنّه طامع في مغفرة الله، راجٍ لمغفرة الله وحده.

(وفي صحيح الحاكم عن جابر: أنَّ رجلًا جاء إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، يقول: وا ذنوباه! وا ذنوباه! مرتين أو ثلاثًا.) يعني: يستعظمها، ويراها مُهلكة له (فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم: ((قُلِ اللهمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي، وَرَحْمَتُكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي))) صلّى الله على هذا النّبيّ الكريم، صلّى الله عليه وسلّم تسليما عظيما، كم فتح باب الرّجاء، وكم أغلق باب الشّيطان واليأس، لا تقل: (وا ذنوباه! وا ذنوباه!)

---

[٢] أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٩).

لا تستعظمها استعظامًا يسبّب لك اليأس،بل: ((قُلِ اللهمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي، وَرَحْمَتُكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي))، فقالها، ثم قال له: ((عُدْ))، فَعَاد، ثم قال له: ((عُدْ))، فَعَاد، فقال له: ((قُمْ، فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ))[٢] ثلاث مرّات فيها اليقين، واستحضار عظمة ربّ العالمين، وكراهية النّفس من الذّنوب، فقالها المرّة بعد المرّة بعد المرّة، فقيل له: ((قُمْ، فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ)).

(وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

يا كبير الذنب، عفو الله *** من ذنبك أكبر!

أعظم الأشياء في جنب *** عفو الله تصغر!)

وهذا يذكّرنا بمعنى:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

الله أكبر من ذنوبنا، وعفوه سبحانه وتعالى أكبر من كلّ ما اقترفناه!

(أعظم الأشياء في جنب *** عفو الله تصغر!) حقّ! إيهٍ والله حقّ!

(وقال آخر:

يَا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنُوبِي كَثرَةً * فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ

إِن كَانَ لَا يَرجُوكَ إِلَّا مُحسِنٌ * فَمَن الَّذِى يرجو وَيَدعُو المُجرِمُ

---

[٢] رواه الحاكم في المستدرك برقم: (١٩٩٤).

مَا لِي إِلَيكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا * وَجَمِيلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسلمُ)

ولذَا هذا كلّ الطّمع بسبب أنّ الإنسان معه إيمان، ومادام الإنسان معه إيمان؛ إذن: يطمع في ربّ العالمين.

(وقال آخر:

وَلمَّا قَسا قَلبي وَضاقَت مَذاهِبي ** جَعَلتُ رجائي نحوَ عَفوِكَ سُلَّما

تَعاظَمَني ذَنبي فَلَمّا قَرَنتُهُ ** بِعَفوِكَ رَبّي كانَ عَفوُكَ أَعظَمَا.

السبب الثاني للمغفرة: الاستغفار ولو عظمت الذنوب:) إذن: هناك الدّعاء بالمغفرة، وهنا قريب من الاستغفار. (ولو عظمت الذنوب: وبلغت الكثرة عنان السماء.) عنان السّماء، المقصود به: (هو: السحاب. وفي الرواية الأخرى: ((لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى بَلَغَتْ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللهَ لَغَفَرَلَكُمْ)).) إذن: هذا السّبب الثّاني.

أذكّر نفسي وأذكّركم بالحديث: ((يا ابن آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ مِنكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابنَ آدَمَ، لَو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ)) عنان السّماء، المقصود السّحاب ((ثُمَّ استَغفَرتَنِي غَفَرتُ لَكَ.)) إذن: الاستغفار.

قال: (والاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة هي: وقاية شر الذنوب مع سترها.) يعني: أنّ الله يقي الإنسان شرّ ذنبه، مع ستر هذا الذّنب؛ وهذا الأمر -الحمد لله- معروف عند المسلمين: أنّ الاستغفار سبب للمغفرة. (وقد كثر في القرآن ذكر الاستغفار: فتارة يؤمر به، كقوله تعالى:

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٢٤] وقوله: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾[٢٥]) ومادام أمر به؛ إذن هو عبادة عظيمة.

(وتارة يمدح أهله) وهذا أيضا من أدلّة أنّه عبادة. (كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾[٢٦] وقوله: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[٢٧] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢٨]

وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[٢٩]).

فهذه كلّها أدلّة؛ تدلّ على:

- أنّ الله عزّ وجلّ أمرنا بالاستغفار.
- وأنّه يحبّ الاستغفار.
- يمدح أهله.
- ويذكر أنّه يغفر لمن استغفر.

يأمرنا، ويمدح أهله، وَيَعِدُ على الاستغفار مغفرة؛ **كلّ هذا دليل على أنّ الاستغفار عبادة.**

---

[٢٤] [المزمل ٢٠]
[٢٥] [هود ٣]
[٢٦] [آل عمران ١٧]
[٢٧] [الذاريات ١٨]
[٢٨] [آل عمران ١٣٥]
[٢٩] [النساء ١١٠]

انتهت هذه الجلسة، وفي الجلسة القادمة بإذن الله نجلس نكمل الرّسالة.

جزاكم الله خيرا.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الجلسة الثانية

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

نسأل الله عزّ وجلّ أن يمتّعنا بهذه العشر حتّى نصل أن يكون لساننا رطبا بذكره، فإذَا انقضت، ثقلت الموازين، وخفّ على اللّسان ذكر الله، فأصبح من أهمّ احتياجاته أن يذكر الله، فيذكر الله اللّسان، ويذكر الله القلب، ويكون بهذا الإنسان قد تمتّع بنعمة الله العظيمة؛ وهذه أحد محطّات السّنة الّتي تُحقّق أهمّ الأهداف، **وهو: ذكر الله**؛ أهمّ الأهداف من العبادات، ومن الصّلاة، ومن الصّيام. أهمّ العبادات هي: ذكره سبحانه وتعالى؛ والعبد إذَا فهم هذا: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣]، عرف أنّ الواجب عليه أن يستفيد من هذه الأيّام لتكون حياته كلّها ذكر له سبحانه وتعالى: ذكر باللّسان، وذكر بالوجدان، حتّى يصل الإنسان إلى أن يُدمن الذّكر، وإلى أن يجد قلبه في هذا الذّكر.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

---

[٣] [العنكبوت ٤٥]

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا

في هذه الجلسة - إن شاء الله - نُكمل السّبب الثّاني من "**أسباب المغفرة**" وهو رسالة لابن رجب، رحمه الله، يقول فيها:

(**السبب الثاني للمغفرة: الاستغفار ولو عظمت الذنوب:**) طبعا كما هو واضح من اللّقاء الأوّل، أنّ ابن رجب استفاد هذه الأسباب من الحديث، فمن ثَمَّ نفهم: أنّ الله عزّ وجلّ قد جعل هذه الأسباب سهلة يسيرة مذكورة في كتابه، وفي سنّة الرّسول؛ فما علينا إلاّ التّدبّر في الكتاب، والتّدبّر في سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، حتّى نصل إليها، فإذَا عرفناها كان واجبا علينا أن نأخذ هذه الأسباب.

فالحديث الّذي ذكره في أوّل الرّسالة، هو حديث: ((قَالَ اللهُ تَعَالَى: يا ابن آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ مِنكَ وَلَا أُبَالِي.))[٣] فعرفنا أنّ الدعاء بالرّجاء والمغفرة؛ سبب من أعظم أسباب المغفرة ((يَا ابنَ آدَمَ، لَو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ ثُمَّ استَغفَرتَنِي غَفَرتُ لَكَ.))، هنا: أتى السّبب الثّاني، وهو: (**الاستغفار ولو عظمت الذنوب: وبلغت الكثرة عنان السماء.**) يعني: العبد عمل ذنوبا من الأرض، حتّى بلغت ذنوبه السّحاب، متراكمة بعضها فوق بعض. وقيل: عنان السّماء، (**ما انتهى إليه البصر منها.**) يعني: آخر ما يرى الإنسان من سقف الأرض.

---

[٣] رواه الترمذي: (٣٥٤٠)، وقال: حديث حسن.

(وفي الرواية الأخرى: ((لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى بَلَغَتْ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللهَ لَغَفَرَ لَكُمْ)).) إذن: هذا هو السّبب؛ فمهما عظُم الذّنب فالاستغفار هو الطّريق؛ أمّا اليأس، والتّخبّط، وقبول قول الشّيطان في نفسك، أو في ربّك؛ هذا معناه: أنّك ما سبّحته، ولا كبّرته، ولا هلّلته، لأنّك ساويته بخلقه! فالخلق إذَا أخطأت فيهم مرّة واثنين وثلاثة وعشرة؛ غفروا لك الأولى والثّانية، وحتّى لو غفروا لك العاشرة، لكن بعد ذلك ما يغفرون لك! فلمّا تظنّ بربّك هذا الظّنّ تصبح ماثلت ربّك بخلقه! وهذه شناعة اليأس أنّه يتضمّن عقائد باطلة: فليس هناك تسبيح لربّ العالمين وتنزيه عن النّقائص! وليس هناك تكبير لربّ العالمين ومعرفة أنّه سبحانه وتعالى كبير لا مثيل له! كبير حتّى في مغفرته لعباده! ولا توحيده! ((فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ))[٢]؛ فالحقيقة مشكلة كبيرة جدّا ما نجده من اليأس.

ولذلك نفهم: لماذا يعقوب عليه السّلام - كما في **سورة يوسف**، - نبّه أبناءه على اليأس، وأنّه: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣]؛ الّذين ستروا ما لله من عَظَمة! فنعوذ بالله من كُفر النّعمة! ونعوذ بالله من الشّرك، والتّنديد، ومماثلة ربّ العبيد بالعبيد!

قال: (والاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة هي: وقاية شر الذنوب مع سترها.) يقيك شرّ الذّنب، بمعنى: أنّك أنت تعرف أنّ الذّنب له أثر في نفسك، له أثر في بدنك، له أثر في تفكيرك، له أثر في صفاء ذهنك، له أثر

---

[٢] أخرجه البخاري برقم: (٦٣٠٦).

[٣] [يوسف ٨٧]

في خُلُق النّاس الّذين حولك؛ فهذا لمّا تستغفر يقيك أثر هذه الأمور؛ وهذا واضح جدّا في حديث سيّد الاستغفار، مع سترها، يغفر الذّنب، بمعنى: يقيك أثره، ويستره عليك، فلا تُفْضَحُ. فالحمد لله السّتّير، نسأل الله أن يُديم ستره علينا، وأن يزيدنا سترا، ويجعلنا من المستورين في الدّنيا والآخرة، ويرزقنا كلّ أسباب السّتر، ويرزق ذرّيّاتنا، اللّهمّ آمين.

إذَا فهمنا هذا أنّ الاستغفار هو: (**وقاية شر الذنوب مع سترها.**)، سنلحظ: أنّ هذا الأمر؛ يُفهّمنا معنى العفو أيضا، وأنّ العفو إذهاب لهذه الذّنوب تماما؛ بحيث ما يبقى لها أثر، وكأنّها ما حصلت، وكأنّ الإنسان ما وقع فيها، وهذا والله هو الغنيمة؛ الغنيمة هو أن يعفو الله عنك، فكأنّ هذا الذّنب لم يحصل؛ ولذَا أرشد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم - كما في الحديث المشهور - عائشة رضي الله عنها، أن تسأل الله: العفو، إذَا صادفت ليلة القدر، فهو غاية أماني العبد.

(**وقد كثر في القرآن ذكر الاستغفار:**) وقد مرّ معنا هذا في الجلسة الأولى: أنّ الاستغفار عبادة؛ لأنّه ورد في القرآن بصيغ متعدّدة كلّها توصل إلى هذا الشّأن، وهو: أنّها عبادة، وقربى لله، يجب أن يكون الإنسان في هذه القربى مخلصا، متابعًا لسنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

فقال: (**فتارة يؤمر به، وتارة يمدح أهله، وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره،**).

الآن تبدأ نّقطة جديدة، يقول: (**وكثيرًا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ: عبارة عن طلب المغفرة باللسان. والتوبة:**

عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح) إذَا اجتمع الاستغفار مع التّوبة؛ يصبح الاستغفار هي الكلمة الّتي تقولها بلسانك، والتّوبة تصبح هي الإقلاع عن الذّنب، النّدم عليه، العزم على ألاّ يعود بالقلب والجوارح. (وتارة يفرد الاستغفار ويرتب عليه المغفرة،) معناها: يأتي الاستغفار وحده، والتّوبة تترتّب عليه، (كما ذكر في هذا الحديث وما أشبهه. فقد قيل: إنه أريد به الاستغفار المقترن بالتوبة، وقيل: إن نصوص الاستغفار كلها المفردة مطلقة،) كلّ نصوص الاستغفار الّذي جاء فيه الاستغفار وحده أتت مطلقة، (تقيد بما يذكر في آية آل عمران من عدم الإصرار؛ فإن الله وعد فيها المغفرة لمن استغفر من ذنوبه، ولم يصر على فعله فتحمل النصوص المطلقة في الاستغفار كلها على هذا المقيد.) يقول لو أتى الاستغفار وحده: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾[٣] تفهم أنّ الاستغفار يتضمّن التّوبة. لماذا؟ لأنّه لمّا أتى الاستغفار مُفردًا تضمّن القيد الموجود في **سورة آل عمران**: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[٣] إذَا لم يصرّوا على ما فعلوا، يعني: تابوا، أنّه هذا معنى التّوبة: النّدم على العمل؛ فإذن: أيّ استغفار أتى مطلقا في القرآن أو في السّنّة؛ يُقيّد **بآية آل عمران**.

يقول: (فتحمل النصوص المطلقة في الاستغفار كلها على هذا المقيد.) هذا الّذي يُقال في معناه: أنّه إذَا انفرد تضمّن غيره، إذَا اجتمعا معا أصبح

---

[٣] [نوح ١٠]

[٣] [آل عمران ١٣٥]

للاستغفار معنى، وللتّوبة معنى، وهي: على قاعدة إذَا اجتمعا افترق في المعنى: فحمل الاستغفار القول باللّسان، وحملت التّوبة النّدم، والعزم على عدم العودة، بالقلب وبالجوارح. وإذَا أتى الاستغفار وحده، يعني: إذَا افترقا فأتى الاستغفار وحده، وأتت التّوبة وحدها؛ تضمّن معنى الثّاني: إذَا اجتمعا افترقا، وإذَا افترقا اجتمعا؛ صارت كلمة الاستغفار تجمع معنى التّوبة بشاهد آية آل عمران.

يقول: (**ومجرد قول القائل: (اللهم اغفر لي) طلب منه للمغفرة ودعاء بها، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء، فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، لا سيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنب، أو صادف ساعة من ساعات الإجابة، كالأسحار وأدبار الصلوات. ويروي عن لقمان أنه قال لابنه: ((يا بني، عود لسانك اللهم اغفر لي؛ فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلًا))**.) فعوّد لسانك أن يكون منك استغفارا دائما؛ وهذا الشّأن يكون من حضور القلب، ومن تعويد اللّسان الذّكر.

المشكلة: أنّ هذه الأيّام العظيمة الّتي فيها التّكبير شأن عظيم، تجد زهد النّاس في ذلك مع يُسره وسهولته، وكلّ وقت تجدهم يتلهّون، ويتكلّمون في أمور يمكن تأجيلها، ويشغل بعضهم بعضا لقتل الأوقات، هي أمور محزنة جدّا أن نجد هذا الزّهد العظيم.

لمّا يكون أبو هريرة، وابن عمر، ينزلان السّوق؛ حيث أنّه لابدّ أن نسأل أنفسنا: لماذا جاءت الآثار بأنّهم ينزلون للسّوق خاصّة؟ لأنّه موطن يتصوّر

الإنسان أنّها غاية في الالتهاء، يذهب ليشتري حاجته فيفكّر فيها، ويتكلّم عنها؛ في هذا الموطن يذهبان فيكبّران، فيكبّر بتكبيره النّاس.

فلمّا نرى الواقع، وإنّ أكثر شيء صعبا لمّا نرى الحجّاج -الله يغفر لنا جميعا- لكن هذا بسبب الجهل العظيم عند كثير من الحجّاج، وعند من يعلم، بسبب أنّه مهمل لنفسه مهمل للسانه، يتكلّم الّذي يأتي على لسانه، لا أن يقيّده! وقد مرّ ولا زلت أرى نفس المناظر، أنّه في ساعات انتظار المصعد لو كانوا مثلا في الفنادق، أو أحيانا في ساعات انتظار الصّلاة وهم في الحرم -الشّباب منهم- وغالبا ما يكونون من طبقة فيها نوع من التّرف، يخرج جوّاله ويلعب به! هذه مناظر مؤلمة، لكن ما تصوّر الإنسان كيف أنّه لابدّ أن يعوّد أن يذكر الله.

هنا لقمان يقول لابنه: ((عود لسانك اللهم اغفر لي))؛ والمشكلة: أنّ هؤلاء يُشاغل بعضهم بعضا! تكون في الحرم، وزميلتها أو قريبتها معها، تقرأ القرآن فتقاطعها لتحكي لها قصّة! تقاطع قراءتها وتذكّرها بموقف! تقاطع قراءتها وتريها في الجوّال شيئا ما! على الأقلّ اعبد الله بكفّ شرّك عن النّاس! لكن سنرجع لنفس المشكلة: أنّنا ما عوّدنا لساننا ذكر الله، فكانت هذه العشر فرصة لأن يكثر التّكبير.

(وقال الحسن: " أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم؛ فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة".) هذا هو الحلّ: تستغفر إذَا أذنبت، ليس هناك حلّ آخر!

(وخرَّج ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن، من حديث أبي هريرة مرفوعًا: ((بينما رجل مستلق إذ نظر إلى السماء وإلى النجوم، فقال: إني لأعلم أن لك ربًّا خالقًا، اللهم اغفر لي،))) سبحان الله! (((فغفر له)).) وهذا الحديث يحتاج إلى مراجعة في سنده، لكنّه يشبه أواخر آل عمران، يشبه فعل أولي الألباب لمّا تفكّروا ﴿فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٣]، اغفر لنا مغفرة تُدخلنا الجنّة، وتحفظنا، وتمنعنا، وتقينا من عذاب النّار. (وعن مُوَرِّق، قال: "كان رجل يعمل السيئات، فخرج إلى البرية فجمع ترابًا، فاضطجع عليه مستلقيًا، فقال: رب، اغفر لي ذنوبي! فقال: إن هذا ليعرف أن له ربًّا يغفر ويعذب، فغفر له".) يعني: خروجه إلى البرّيّة حالة من حالات الضّيق من النّفس، فخرج إلى البرّيّة، واستلقى مستسلما لربّه في هذه الحال من الضّيق، وتوسّل إليه بطلب المغفرة، فغفر له.

(وعن مُغيثِ بن سُمَيٍّ، قال: "بينما رجل خبيث، فتذكر يومًا، فقال: اللهم غفرانك، اللهم غفرانك، اللهم غفرانك، ثم مات، فغفر له". ويشهد لهذا) يعني: لهذه الأخبار الّتي أتت؛ لأنّ هذه الأخبار لابدّ أن تكون في حكم المرفوع؛ لقوله: (ثم مات، فغفر له) من أين عرفنا أنّه غفر له؟ فهو يقول: (يشهد لهذا ما في الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم: ((إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْلِي، قال الله تعالى: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ

---

[٣] [آل عمران ١٩١]

لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخر)). فذكر مثل الأول مرتين أخريين[٣٧] وفي رواية لمسلم أنه قال في الثالثة: ((قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ))[٣٨] والمعنى: ما دام على هذه الحال كلما أذنب استغفر،)، هنا مباشرة، يقفز إلى الذّهن أنّه سيكون معنى ذلك الأمر لعبة في نفوس النّاس! وسيقول: (أنا سأذنب، ثمّ أستغفر)، قال: (والظاهر أن مراده الاستغفار المقرون بعدم الإصرار؛) يعزم عزما صادقا على أن لا يعود؛ ثمّ تغلبه نفسه! (تغلبه نفسه) هذا شيء ما يُستطاع وصفه! لكن هذه حالة يعرفها المذنبون! -الله يغفر لنا!- أنّه يكون مستعظما الذّنب، تائبا، خائفا منه. وتمرّ الأيّام واللّيالي ويبدأ يشعر بالطّمأنينة لنفسه، ثمّ - سبحان الله! - يهجم عليه الذّنب من مكان آمن، ويتلبّسه الشّيطان: (أنّ هذه فرصتك!) ويدخله في حالة من السّكر كأنّه سكران! يفقد ألم الذّنب الّذي عاشه، فيقع فيه! حصل هكذا، ماذا نفعل الآن؟ نتوب، نستغفر، ونعزم في هذه المرّة ألاّ نعود، فإذَا ابتلينا، ولا بدّ من هذا النّوع من الابتلاءات؛ نعود ونستغفر.

وهنا تنبيه مهمّ: أنّ لله الحكمة البالغة في ابتلاء النّاس بالذّنوب؛ فإنّ النّاس من عيوبهم، وذنوبهم: انتقاد غيرهم، أحيانا النّاس يصلون إلى أن ينتقدوا غيرهم في فعل المباحات، ويستنقصون دينهم؛ لأجل أنّهم فعلوا شيئا من المباحات، وما يشعر الإنسان بنفسه إلاّ وقد وقع في ذنب! فكأنّه يُقال: عليك نفسك، إن كنت ناظرا لغيرك فانظر نظرة الرّحمة والشّفقة،

---

(٣٧) أخرجه البخاري برقم: (٧٥٠٧).

(٣٨) برقم: (٢٧٥٨).

وانظر نظرة الآمر بالمعروف، النّاهي عن المنكر، الّذي يودّ أن يصلح النّاس ليس المستنقص لغيره، الّذي يرى نفسه أحسن من غيره؛ والمؤلم أنّهم يأتون أحيانا في أشياء يستنقصون غيرهم فيها وهي مباحات! لكن لمجرّد أنّهم تربّوا، أو فهموا الأمر خطأ، فيأتون عند أمور معيّنة، ويرون: أنّ الّذي فعلها فقد ارتكب جريمة!

(ولهذا في حديث أبي بكر الصديق، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، قال: ((مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةٍ))[٣]) وهذا للمبالغة، لبيان أنّه مادام أنّك على ألاّ تفعل فقد دخلت في المستغفرين.

وألطف بيان لهذا: ((وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةٍ)) ما يحصل للحاجّ الغضوب، الّذي أصل طبعه غضوب، فالآن جاء ليدخل الحرم في صلاة الفجر. أتى مثلا: الحارس أو العسكر منعوه، وقالوا له: (لا يوجد هناك دخول الآن) اشتدّ غضبه، وكاد أن يخاصمه، وكاد أن يتكلّم كلاما باطلا، وبعد ذلك ذهب عنه ما وقع فيه من غضب، وصلّى، واستغفر، وتاب، وربّما حتّى استسمح من هذا الإنسان، وعاد بعد صلاة الفجر إلى بيته. الآن عاد في صلاة الظّهر - الحمد لله - دخل في وقت مناسب، من باب مناسب، ووجد له مكانا له -الحمد لله- لمّا لقي له مكانا جاوره أحد يدفعه من جانبه، وأحد يدفعه من خلفه، وأحد يدفعه من أمامه - إنا لله وإنّ إليه راجعون - غضب مرّة أخرى، وخاصمهم، وخوّفهم بالله، وقال لهم:

---

[٣] أخرجه أبو داود برقم: (١٥١٤).

(أنتم ما عندكم إنسانيّة!) انتهى، استغفر، وتاب وهَدأ، وعزم على ألاّ يعود.

جئنا في صلاة العصر، ابتُلي بابتلاء ثانٍ: يبحث عن مكان فلا يجد، والنّاس عندهم أماكن، ولكن ما رضوا أن يدخلوه! فيغضب عليهم، ويثور، ويتّهمهم بالأنانيّة، ويصرخ في وجوههم، وهم يُعاندونه ولا يريدوا أن يُدخلوه. ويعيد نفس القضيّة!

يكفينا هكذا الثّلاث صلوات، وقد كانت الرّابعة والخامسة فيها من الابتلاءات ما فيها: فالّذي يأتي يدعس على ثوبه، والّذي يأتي لأغراضه فيرميها بعيدًا! فكان في كلّ صلاة يأتيه من يغضبه، فالآن ماذا نقول لهذا الحاجّ؟ هل نقول فسد عليك حجّك! فيمكن أن يكون هذا اليوم الثّاني أو الثّالث له في الحرم؛ لا! وإنّما نقول له: تاب الله على من تاب، تاب الله على من تاب. ونقول له: كما قال أبو بكر رضي الله عنه الصّدّيق: ((مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةٍ)) وهذا الأثر أليق ما يكون بأبي بكر، رضي الله عنه، مثال الرّحمة، والشّفقة؛ فيقول هذا القول لأجل أن لا يقنط أحد من رحمة الله، وفي نفس الوقت ممنوع المكر من مكر الله.

فاسمعوا ماذا يقول ابن رجب: (**وأما استغفار اللسان مع إصرار القلب على الذنب فهو دعاء مجرد، إن شاء الله أجابه وإن شاء رده، وقد يكون**

الإصرار مانعًا من الإجابة، وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو، مرفوعًا: ((وَيْلٌ لِلَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ))[٤].

وخرَّج ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس، مرفوعًا: ((التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَالْمُسْتَغْفِرُ مِنَ ذَنْبٍ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ)). يعلّق ابن رجب على الإسناد، يقول: (ورفعه منكر ولعله موقوف.) يعني: لا يُرفع إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ربّما يكون موقوفًا على ابن عباس، بمعنى: أنّ هذا القول صدر من ابن عبّاس، أنّ ((الْمُسْتَغْفِرُ مِنَ ذَنْبٍ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ)).

(قال الضحاك: "ثلاثة لا يستجاب لهم، فذكر منهم: رجل مقيم على امرأة زنا، كلما قضى شهوته، قال: رب اغفر لي ما أصبت من فلانة،) - الله يعيذنا! - (فيقول الرب: تحول عنها وأغفر لك، فأما ما دمت عليها مقيمًا فإني لا أغفر لك.) وهذا المثال؛ أحسن مثال يُضرب في هذه المسألة؛ أنّه في أحيان كثيرة يكون الاستغفار نابع عن إشباع الشّهوة؛ أشبع شهوته، عزم على ألاّ يعود، وهو في نفسه يعرف نفسه أنّه لو ثارت عليه سيعود مرّة أخرى! وليس ذلك العزم الّذي تقطّع قلبه منه.

(ورجل عنده مال قومٍ يرى أهله[٤] فيقول: رب اغفر لي ما آكل من مال فلان،) هذا إنسان عجيب! الآن ظلم أحدا وأخذ ماله، فهو يعرف أنّ هذا المال ليس ماله؛ يأكل من مال الرّجل، ويقول: (ربّ اغفر لي أنّني آكل

---

[٤] أخرجه أحمد في المسند برقم: (٦٥٤١).

[٤] أي: يرى أصحاب المال ثم لا يعطيهم حقهم.

ماله)! (فيقول تعالى: رد إليهم ما لهم وأغفر لك، وأما ما لم ترد إليهم فلا أغفر لك".) وهذا كلام الضّحّاك يُقصد به: أنّ هذه حالة الإنسان مع ربّه، وهذا ما يُفهم من معنى الإصرار على الذّنب، وأنّ الله لا يقبل منه الاستغفار. هو قال: (قال الضحاك: "ثلاثة لا يستجاب لهم) ذكر اثنين منهم، وما ذكر لنا الثّالث.

انتهى الكلام السّابق الآن.

يقول: (وقول القائل: "أستغفر الله"، معناه: أطلب مغفرته، فهو كقوله: "اللهم اغفرلي".) **معنى أستغفر**: السّين هنا سين الطّلب، أي أنا أطلب مغفرة الله.

(فالاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار، كما مدح الله تعالى أهله ووعدهم المغفرة. قال بعض العارفين: "من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب في استغفاره".) يعني: لابدّ أن نكون كلّ مرّة نستغفر فيها؛ نزيد عزما على أن لا نعود.

فنحن نلحظ: أنّ العزم يقوى:

١. مع تكرار التّفكير في المسألة.

٢. ومع تكرار التّذكير.

قال: (وكان بعضهم يقول: ((استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير)).) يعني: بسبب أنّه مدخول.

(وفي ذلك يقول بعضهم:

أستَغفِرُالله مِن أستَغفِرُالله ** مِن لَفظَةٍ بَدَرَت خالَفتُ مَعناها

وَكَيفَ أَرجُو إِجَابَاتِ الدُّعَاءِ وَقَد ** سَدَدتُ بِالذَّنبِ عِندَ الله مَجراها

فأفضل الاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار، وهو حينئذ توبة نصوح، وإن قال بلسانه: " أستغفر الله"، وهو غير مقلع بقلبه فهو داعٍ لله بالمغفرة، كما يقول: "اللهم اغفرلي"، وهو حسن وقد يرجى له الإجابة.).

هنا ملحظ مهمّ جدّا: هناك قال: الّذي يستغفر وهو مصرّ كأنّه مستهزئ، وهنا قال: الّذي يستغفر وهو غير مُقلع بقلبه، ما أقلع عن الذّنب؛ فإنّ هذا يدعو ربّه، ربّما استجاب له ربّه وهو لم يقلع عن الذّنب.

أين الحسن في هذا؟ كونه يتمنّى على الله الخروج من الإصرار، هذا الّذي يظهر.

سنرى كلامه الّذي سيأتي يبيّن هذا:

قال: (وأما من قال: "توبة الكذابين"، فمراده: أنه ليس بتوبة كما يعتقده بعض الناس، وهذا حق؛ فإن التوبة لا تكون مع الإصرار.) صحيح، هذه ليست توبة! كأنّه يقول: (اللّهمّ اغفر لي) وهو على الذّنب!

(وإن قال: " أستغفر الله وأتوب إليه"، فله حالتان: إحداهما: أن يكون مصرًّا بقلبه على المعصية، فهو كاذب في قوله: "وأتوب إليه"؛ لأنه غير تائب، فلا يجوز له أن يخبر عن نفسه بأنه تائب وهو غير تائب. والثانية: أن يكون مقلعًا عن المعصية بقلبه، فاختلف الناس في جواز قوله: "وأتوب إليه". فكرهه طائفة من السلف،) يظن أنّ أستغفر الله

تكفي في كونها تتضمّن التّوبة! (وهو قول أصحاب أبي حنيفة، حكاه عنهم الطحاوي. وقال الربيع بن خثيم: يكون قوله: "وأتوب إليه" كذبة وذنبًا، ولكن ليقل: ((اللهم تب عليَّ، أو يقول: اللهم إني أستغفرك فتب علي)).) إذن معنى هذا: أن يكون هذا الاستغفار كأنّ صاحبه يحمل في قلبه رجاء أن يغفر الله له، فيتوب عليه. (وهذا قد يحمل على من لم يقلع بقلبه، وهو بحاله أشبه.) بمعنى: أنّ هذا الكلام نافع للكلام الأوّل، الّذي يكون مصرّا بقلبه على معصية، لا يقول: (أستغفر الله وأتوب إليه)، يقول: (أستغفر الله). لماذا؟ لأنّه وهو مازال مصرّا على المعصية، كأنّه يقول: (اللّهمّ إنّي أستغفرك فتب علي، أدعوك أن تغفر لي، رغم أنّي لست أهلا للمغفرة، أدعوك أن تغفر لي، فتب عليّ وأخرجني من هذا الذّنب).

(وكان محمد بن سوقة، يقول في استغفاره: "أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأسأله توبةً نصوحًا". وروي عن حذيفة أنه قال: "بحسب المرء من الكذب أن يقول: أستغفر الله، ثم يعود". وسمع مُطَرِّفٌ رجلًا، يقول: "أَسْتَغْفِرُ الله وَأَتُوبُ إِلَيْهِ"، فتغيظ عليه، وقال: "لعلك لا تفعل". وهذا ظاهره يدل على أنه إنما كره أن يقول: "وَأَتُوبُ إِلَيْهِ"؛ لأن التوبة النصوح أن لا يعود إلى الذنب أبدًا، فمتى عاد إليه كان كاذبًا في قوله: "وَأَتُوبُ إِلَيْهِ".) فالآن فرّق بين الكلمتين: بين "أستغفر الله"، وبين "أستغفر الله وأتوب إليه"، يعني: الّذي يقول: ("وَأَتُوبُ إِلَيْهِ")، أي أنا لن أعود، لكن لو هو يعرف نفسه أنّه

ضعيف، فيرمي بنفسه عند باب الله، ويقول: (ذنب ما أستطيع أن أخرج منه، إلاّ أن تخرجني منه).

(وكذلك سئل محمد بن كعب القُرَظي عمن عاهد الله أن لا يعود إلى معصية أبدًا، فقال: "من أعظم منه إثمًا؟) الّذي يعاهد ألاّ يعود، ليس هناك ما هو أعظم منه إثمًا؛ (يتألى على الله أن لا ينفذ فيه قضاؤه".) هو يُعاهد الله، لكن هو ليس في قدرته هذا الشّأن. (ورجح قوله في هذا أبو الفرج ابنُ الجوزي. ورُوي عن سفيان عيينة نحو ذلك. **وجمهور العلماء على جواز أن يقول التائب: ((أتوب إلى الله)).) يعني:** الآن ذكر لنا قول جمهور العلماء، (وأن يعاهد العبد ربه على أن لا يعود إلى المعصية؛ فإن العزم على ذلك واجب عليه، فهو مخبر بما عزم عليه من الحال.) لكن إذا وقع خلاف ذلك فالأمر لله.

إذن كلّ النّقاش السّابق تحت عنوان: هل نقول: (أستغفر الله وأتوب إليه)؟ ذكر قول بعض أهل العلم، ثمّ ذكر قول جمهور العلماء على جوازه؛ وهذا سيرجع بنا لأوّل الكلام: أنّ الّذي يستغفر، ويتوب، ويعزم على ترك المعصية؛ هذا الباب قد فُتح له، إن عاد فالأمر لله، ويعود هو للتّوبة. (ولهذا قال: ((مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَلَوْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةٍ))[٤٢] وقال في المعاود للذنب: ((قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ))[٤٣] وفي حديث كفارة المجلس: ((أَسْتَغْفِرُكَ اللهمَّ وَأَتُوبُ

---

[٤٢] سبق تخريجه.

[٤٣] سبق تخريجه.

إِلَيْكَ))[٤٤] وقطع النبي صلّى الله عليه وسلّم سارقًا، ثم قال له: ((اسْتَغْفِرِ الله، وَتُبْ إِلَيْهِ)). فقال: ((أستغفر الله و أتوب إليه))، فقال: ((اللهمَّ تُبْ عَلَيْهِ))[٤٥] واستحب جماعة من السلف الزيادة على قوله: ((أَسْتَغْفِرُ الله وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ))، فرُوي عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلًا يقول: ((أَسْتَغْفِرُ الله وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ))، فقال له: "يا حميق، قل: توبة من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا".) يعني: عُمَر يريد من الرّجل أن يصف توبته، توبة الضّعيف العاجز، الّذي غير قادر على نفسه.

(وسئل الأوزاعي عن الاستغفار، أيقول: ((أَسْتَغْفِرُ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ؟)) فقال: "إنَّ هذا لحسن، ولكن يقول: ربِّ اغفرلي، حتى يتم الاستغفار".).

(أفضل أنواع الاستغفار:) سيتكلّم الآن عن الطّريقة الّتي يتكلّم بها المستغفر. (و أفضل أنواع الاستغفار:

- أن يبدأ العبد بالثناء على ربه.

- ثم يُثَنِّي بالاعتراف بذنبه.

- ثم يسأل الله المغفرة.)

أوّل ما تسمع هذا الكلام سيتبادر إلى ذهنك سيّد الاستغفار: (كما في حديث شداد بن أوس عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: ((سَيِّدُ

---

[٤٤] أخرجه الترمذي برقم: (٣٤٣٣)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

[٤٥] أخرجه أبو داود برقم: (٤٣٨٠).

الِاسْتِغْفَارِ، أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْلِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ))[٤٦].

١. ابتدأ بالثّناء على الله.

٢. وأتى ثانيا بالاعتراف بالذّنب.

٣. ثمّ سؤال الله المغفرة.

(وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: ((قُلِ: اللهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْلِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))[٤٧]

ومن أنواع الاستغفار أن يقول العبد: ((أَسْتَغْفِرُ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ))[٤٨] وقد رُوي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أن من قاله، غُفِرَله وإن كان فَرَّمن الزحف.) ((أَسْتَغْفِرُ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ)) لِمَا فيه من تعظيم الله بأسمائه العظيمة، فيقولك: ((أَسْتَغْفِرُ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ)). ((الْحَيَّ الْقَيُّومَ)): الاسمان الأعظمان لله عزّ وجلّ.

---

[٤٦] أخرجه البخاري برقم: (٦٣٠٦).

[٤٧] أخرجه البخاري برقم: (٨٣٤).

[٤٨] أخرجه الترمذي برقم: (٣٥٧٧)، وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(وفي كتاب عمل اليوم والليلة للنسائي، عن خباب بن الأرت قال: قلت يا رسول الله، كيف نستغفر؟ قال: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْلَنَا، وَارْحَمْنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)). وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " ما رأيت أحدًا أكثر أن يقول: أستغفر الله و أتوب إليه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " .) أستغفر الله وأتوب إليه.

(وفي السنن الأربعة عن ابن عمر، قال: إن كنا لنعد لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المجلس الواحد مائة مرة يقول: ((رَبِّ اغْفِرْلِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ))[٤] وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: ((وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً))[٥] وفي صحيح مسلم عن الأغر المزني، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: ((إِنَّهُ لَيُغَانُ[٥] عَلَى قَلْبِي،))) وفي الهامش: (ليغان: المراد به الفتور عن الذكر من الذي شأنه الدوام عليه فإذا فتر عنه أو غفل عَدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه)، (((وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ))[٥] أيّ غفلة عن الذّكر يستغفر عنها صلّى الله عليه وسلّم.

(وفي المسند عن حذيفة، قال: قلت يَا رَسُولَ الله، إِنِّي ذَرِبُ اللِّسَانِ[٥]؛ وَإِنَّ عَامَّةَ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِي،) يعني: الذَّرِبُ، كما في الهامش:

---

(٤) أخرجه الترمذي برقم: (٣٤٣٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٥) أخرجه البخاري: (٦٣٠٧).

(٥) ليغان: المراد به الفتور عن الذكر من الذي شأنه الدوام عليه فإذا فتر عنه أو غفل عَدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه، ينظر فتح الباري لابن حجر (١٠١/١١).

(٥) أخرجه مسلم: (٦٣٠٧).

(٥) الذرب بالتحريك فساد اللسان وبذاؤه أراد سلاطة لسانه وفساد منطقه.

(فساد اللسان وبذاؤه)، يعني كما هو واضح: لسانه سليط، منطقه فاسد، وهذا غالبه على أهله، يعني: كالعادة! (فَقَالَ: ((أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ؟ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ)).) هذا من النّساء والرّجال -الله يعيننا- ومن الأمّهات على أبنائهم، فكلّ هذه الأحوال تجعلنا مستغفرين أكثر.

(وفي سنن أبي داود، عن ابن عباس، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: ((مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ))[٥].) والتّفكير في مثل هذا يعيننا كثيرا على كثرة الاستغفار.

(قال أبو هريرة: "إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مرة، وذلك على قدر ديتي". وقالت عائشة رضي الله عنها: "طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا". قال أبو المنهال: ((ما جاور عبد في قبره من جار أحب إليه من استغفار كثير)).) يا ربّ اجعل هذا جوارنا! (وبالجملة، فدواء الذنوب الاستغفار، ورُوِّينا من حديث أبي ذر مرفوعًا: ((إِنَّ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، وَإِنَّ دَوَاءَ الذُّنُوبِ الاسْتِغْفَارِ)).) ليس هناك دواء ثانٍ، لا تبحث! دواءها الاستغفار.

(قال قتادة: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، فَأَمَّا دَاؤُكُمْ فَالذُّنُوبُ، وَأَمَّا دَوَاؤُكُمْ فَالاسْتِغْفَارُ". قال بعضهم: "إنما معول المذنبين

---

[٥] أخرجه أبو داود برقم: (١٥١٨).

البكاء والاستغفار، فمن أهمَّته ذنوبه أكثر لها من الاستغفار".) كلّ هذه النّصوص تامّة الوضوح، في كون أنّه لابدّ أن نهتمّ بمسألة الاستغفار.

(قال رياح القيسي: "لي نيِّفٌ وأربعون ذنبًا قد استغفرت الله لكل ذنب مائة ألف مرة".) عدّ مائة ألف مرّة لكلّ واحد، فلو تصوّرنا: (نيِّفٌ وأربعون ذنبًا) كلّ واحد منهم: (مائة ألف مرة) يعني: وصلنا لأربعة مليون! إن كان الحساب صحيحا.

(وحاسب بعضهم نفسه من وقت بلوغه فإذا زلاته لا تجاوز ستًّا وثلاثين زلة،) يا الله! - إنّ لله وإنّا إليه راجعون! - أكيد جوابنا: (من البلوغ إلى الآن لا يمكن أن نعدّها!). (فاستغفر الله لكل زلة مائة ألف مرة، وصلى لكل زلة ألف ركعة، ختم في كل ركعة منها ختمة. قال: "ومع ذلك فإني غير آمن سطوة ربي أن يأخذني بها، وأنا على خطر من قبول التوبة".) يعني: ما في قلبي طمأنينة في أن أعيش في أمان؛ إنّما استغفار بعد استغفار. (ومن زاد اهتمامه بذنوبه فربما تعلق بأذيال من قلت ذنوبه، فالتمس منهم الاستغفار، وكان عمر يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول: "إنكم لم تذنبوا".) هذه النّصوص فيها أقوال، كون يُطلب الاستغفار أو لا؟ والظّاهر: أنّه ما يُطلب. هو أورد بعض النّصوص على ذلك.

(ومن كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاقت العدد والإحصاء فليستغفر الله مما علم الله. فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ

يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾[٥] فنحن ماذا نقول؟ (يا ربّ أنا أستغفرك على كلّ الذّنوب الّتي تعلمها)؛ الّذين مضوا من الصّحابة والتّابعين عدّوا ذنوبهم، عرفوها، هو يقول: الّذي في مثل حالتنا (فاقت العدد والإحصاء فليستغفر الله مما علم الله)، يقول: (اللّهمّ اغفر لي كلّ ما عَلمتَ من ذنوبي).

(وفي حديث شداد بن أوس عن النبي صلّى الله عليه وسلّم: ((أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَ أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ))[٦] وهذا هو الصّحيح في القول، أنّ الإنسان يعمّم مسألة الاستغفار على كلّ ذنوبه.

انتهى وقتنا، إن شاءالله في الجلسة القادمة نكمل الجزء الأخير من الرّسالة.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[٥] [المجادلة ٦]

[٦] أخرجه الترمذي برقم: (٣٤٠٧).

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الجلسة الثالثة

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

نُكمل الكلام حول هذه الرّسالة المهمّة جدّا بالنّسبة لنا؛ لأن هذا أمر المغفرة لا يخلو أحد من الحاجة إليه، وإلى التّذكير به، وإلى بيانه، فهو حاجة كلّ عبد صادق عرف ربّه، وعرف نفسه، وقد مرّ معنا الحديث الّذي هو أساس الرّسالة، وقد ذكره ابن رجب في هذه الرّسالة، وبيّن درجته، وبيّن أنّ هناك أحاديث صحيحة تشهد له، وسمّى الرّسالة: "**حديث جامع في الاستغفار**"، وهو كما هو واضح لكم أنّ هذا الحديث وشرحه مأخوذ من "**كتاب جامع العلوم والحِكَم**": (عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يقول: **((قَالَ الله تَعَالَى: يا ابن آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ مِنكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابنَ آدَمَ، لَو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ ثُمَّ استَغفَرتَنِي غَفَرتُ لَكَ.))**) وقد مرّت معنا هاتان الجملتان، بقي: (**((يَا ابنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَو أَتَيتَنِي بِقُرَابِ الأَرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشرِكُ بِي شَيئًا لأَتَيتُكَ بِقُرَابِها مَغفِرَةً))**[٥]).

[٥] رواه الترمذي: (٣٥٤٠)، وقال: حديث حسن.

١) **فكان السّبب الأوّل:** الدّعاء عموما مع الرّجاء، أو الدّعاء بالمغفرة خصوصًا.

٢) **ثمّ أتى السّبب الثّاني:** وهو الاستغفار مهما عظمت الذّنوب.

فالحمد لله، الّذي جعل هذه الأسباب يسيرة سهلة، ونسأله سبحانه أن يجعلنا ممّن انتفع بهذه الأسباب، ما نكون ذاك العبد الّذي سمع، وفهم، وتعلّم، ثمّ في نهاية الشّأن لا يحصل منه عمل! - الله يعيذنا - من مثل هذه الأحوال الّتي فيها الكسل عن طاعته سبحانه وتعالى.

نأتي الآن إلى: (**السبب الثالث من أسباب المغفرة:**) وهو سبب عظيم جدّا، وقد مرّ معنا أنّه سبب لصلاح كلّ شأن، **وهو:** (التوحيد)، يقول: (وهو السبب الأعظم فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة،) سبحان الله! يعني: حتّى لو ما دعا واستغفر؛ لو أتى بالتّوحيد أتى بالسّبب الّذي يمحو به الله الخطايا. (قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٥]. فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض) ومعنى: قرابها، يقول: (- وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها- خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة،) بقراب الأرض، (لكن هذا مع مشيئة الله عزّ وجلّ،) معنى ذلك: أنّ التّوحيد سبب، لكن (فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه،) في النّهاية لا يخلد في النّار، يقول: (ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار،) وهذا شأن عظيم، معنى ذلك: تحريم الخلود في النّار على أهل التّوحيد مهما كان عندهم ذنوب؛ ودخول النّار

---

(٥) [النساء ٤٨]

شأن عظيم، عظيم وليس بالهيّن! لكن المقصود: شرّ أهون من شرّ! فإذَا غلبت ذنوب العبد على نفسه؛ على الأقلّ التّوحيد يأتي فيمنع الإنسان من الخلود في النّار؛ الدّخول شأنه عظيم! وشرّ عظيم جدّا جدّ! لكن الخلود شرّ أعظم!

(قال بعضهم: "الموحد لا يُلقى في النار كما يُلقى الكفار، ولا يَلقى فيها كما يَلقى الكفار، ولا يَبقى فيها كما يَبقى الكفار".) إذن: هذه النّار شأنها أهون، لكنّها لازالت نارًا! - الله يعيذنا! - وفي الحديث الطّويل المشهور، الّذي فيه أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، رأى عذاب المُرائين، والمُرابين، والزُّناة، وشاربي الخمر؛ وهذا كلّه عذاب لقوم من المسلمين، فهو شأن عظيم! عظيم جدّا! فإذَا كان عدم الخلود خير، لكن نفس الدّخول شرّ!

ما الطّريق؟ لأن نُحفظ من الدّخول؟ الله يحفظنا وجميع المسلمين، خاصّة والدينا، ووالديهم، وكلّ من له حقّ علينا، وذرّيّاتنا، وأحبابنا، والمسلمين.

قال: (فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومَنَعَه من دخول النار بالكلية.) متى؟ إذَا كمل توحيد العبد وإخلاصه لله، وقام بشروط هذا التّوحيد كلّها:

- بالقلب.
- واللّسان.

والجوارح.

أو أنّه وقت الموت قام بقلبه، ولسانه، بشروط التّوحيد كلّها؛ إذَا حصل هذا؛ فهذا يمنعه من دخول النّار. أصل التّوحيد يمنع من الخلود، كمال التّوحيد يمنع من الدّخول، فما كمال التّوحيد؟

قال: (**فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبُه أخرجتْ منه كلَّ ما سوى الله**) من تحقّق قلبُه بكلمة التّوحيد؛ هذه الكلمة تُخرج كلَّ ما سوى الله (**محبةً وتعظيمًا وإجلالًا ومهابةً وخشيةً ورجاءً وتوكلًا**.) ولو لاحظتم هذا المعنى ستتأكّدون: من أهمّيّة التّكبير؛ لأنّه لمّا تعلم أنّ الله أكبر من كلّ شيء، أنّ الله له العظمة المطلقة، والكبرياء، ليس أحد مثله في ربوبيّته، أبدًا! هو الكبير في تدبيره، ومُلكه، وسلطانه، وهو الكبير الّذي لا يُشاركه أحد في ألوهيّته، وهو الكبير الّذي لا يُشاركه أحد في أسمائه وصفاته، وهو الكبير الّذي لا يُشاركه أحد في الحكمة في قضائه وقدره؛ قضى القضاء وقدّره، وهو الكبير في ذلك لا ينفذ إلاّ ما قدّره الله، وله الحكمة البالغة في ذلك، وهو الكبير فيما شرّع سبحانه وتعالى، فيخرج كلَّ ما سوى الله، ليس لأحد في الله محبّة مستقلّة، ولا تعظيم كامل، ولا إجلال، ولا مهابة، ولا خشية، ولا رجاء، ولا توكّل على غير الله.

ماذا للخلق في قلوبنا؟ نضع الخلق في مكانهم ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[٥]؛ ما نستطيع أن ننكر أنّ هناك من وهبه الله صفات كمال، لكن على قدر الكمال البشري. كيف ننكر ذلك ورسولنا

---

[٥] [يوسف ٥٥]

صلّى الله عليه وسلّم، قد مدحه الله مدحًا عظيما، ومدح خُلُقَه، وعظّم هذا الخُلُقَ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٦]؛ فالكمال البشري لا يمكن لأحد أن يتجاهله، فنضع البشر في مكانهم؛ فالأوّل الّذي ليس قبله شيء **هو**: الله، والآخر الّذي ليس بعده شيء **هو**: الله؛ فإذَا أُخرج من قلب الإنسان ما سوى الله (**حينئذ تُحرق ذنوبُه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات**) يعني: أنّ التّوحيد إذَا قوي، وتعظيم الله كان قويّا، وكان هذا التّعظيم متملّكا لجميع تفاصيل حياة الإنسان، وكلّما زاد عُمُرًا زاد يقينًا بعظمة الله، وثقة، ورجاء، وتوكّلا؛ كان هذا سببا لحرق الذّنوب والخطايا ولو كانت مثل زبد البحر، بل ربما قلبتها حسنات. يقول: (**- كما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات-؛ فإن هذا التوحيد هو الإكسير[٦]الأعظم،**) والإكسير، هذه كلمة تُستعمل، كلمة تدلّ على: (مادة مركبة كان الأقدمون يعتقدون أنها تحول المعدن الرخيص ذهب) يعني: يقولون أنّ قارون كان عنده هذا الإكسير فيحوّل المعادن الرّخيصة إلى ذهب، فكان النّاس يريدون هذا الإكسير لأنّه يسبّب الغنى؛ وأيضا تُستعمل إكسير الحياة، بمعنى: أنّه لو حصل أحد على هذه المادّة يبقى حيّا، فاستعمل ما كان مشهورًا في زمانه من هذه الكلمة، قال: (**فإن هذا التوحيد هو الإكسير[٦] الأعظم،**) لو الإنسان أتى بهذا التّوحيد، فليبشر: صحّة في البدن، وصحّة في القلب، وإقبال على الرّبّ في أحسن حال، ويكون في هذه مبصرًا، وفي تلك مبصرًا، يُرزق بصيرة، فهو الإكسير

---

[٦] [القلم ٤]

[٦] مادة مركبة كان الأقدمون يعتقدون أنها تحول المعدن الرخيص ذهب، ينظر المعجم الوسيط (٢٢/١).

[٦] مادة مركبة كان الأقدمون يعتقدون أنها تحول المعدن الرخيص ذهب، ينظر المعجم الوسيط (٢٢/١).

الّذي يوضع على الذّنوب فتذهب؛ (فلو وضع ذرة منه على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات،) مثلما يقلب الإكسير المعدن الرّخيص إلى ذهب.

(كما في المسند وغيره عن أم هاني،) رضي الله عنها، (عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: ((لَا إِلَهَ إِلَّا الله لَا تَتْرُكُ ذَنْبًا، وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ)).) تقوى، يصبح قائلها مليء بعظمة الله؛ ((لَا تَتْرُكُ ذَنْبًا))، لا تترك ذنبًا؛ تأتي إلى الذّنوب وتحرقها كلّها. وهذه ((لَا إِلَهَ إِلَّا الله))، المستقرّة في القلب، الّتي هي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٦٤]؛ ((لَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ))، هي الأصل وكلّ شيء بعدها؛ فالأعمال لا تكون صالحات إلاّ بـ ((لَا إِلَهَ إِلَّا الله)).

(وفي المسند، عن شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت) رضي الله عنهما، (أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لأصحابه) رضي الله عنهم جميعا: (((ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا الله))، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً، ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: ((الْحَمْدُ لِله، اللهمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي الْجَنَّةَ عَلَيْهَا، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ))، ثُمَّ قَالَ: ((أَبْشِرُوا، فَإِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكُمْ))[٤].) الحمد لله، الحمد لله، ((قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا الله))، ثمّ يُبشّرون بأنّ الله قد غفر لهم.

---

(٦٤) [إبراهيم ٢٤]

(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم: (١٧١٢١).

(قال الشبلي: "من ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها، فصار رمادًا تذروه الرياح، ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها، فصار ذهبا أحمرا ينتفع به، ومن ركن إلى الله أحرقه بنور التوحيد، فصار جوهرًا لا قيمة له"[٦].) مثل هاته الآثار يُنظر إليها نظر تحقيق؛ فكلّما زاد الإنسان معرفة بالحقائق، تبيّن له أنّ هناك حدّا فاصلا بين التّوحيد الحقّ، وبين ما تدّعيه الباطنيّة من توحيد؛ فالمشكلة: أنّ النّاس من كثرة خوفهم من الفكر الباطني، والصّوفي، والحلولي؛ تركوا فهم التّوحيد بهذه الطّريقة، - بالطّريقة الّتي يتكلّم بها السّلف **أمثال**: ابن رجب، وابن القيّم- وخافوا على أنفسهم أن يدخلوا في هذا الباب؛ وهو خوف صحيح، لكن نحن نخاف أيضا من ترك المشاعر تائهة ما تعرف ما الّذي يجب أن تفعل؟

تركت الأثر السّابق؛ لأنّ هناك لبس في بيان هذه المسألة تحتاج إلى تعليق علميّ، ومقارنة بين هذا الكلام، وبين الكلام الّذي يذكره الصّوفيّة؛ فسأتركه لأنّنا نريد أن نركّز على مقصودنا:

(إذا عَلِقت نارُ المحبة بالقلب أحرقت منه كل ما سوى الرب عزّوجلّ، فطهُر القلبُ حينئذ من الأغيار، وصلح عرشًا للتوحيد.) والمقصود بذلك: أنّ الإنسان كلّما زادت معرفته بربّه، طهر قلبه من التّعلّقات. (فطهُر القلبُ حينئذ من الأغيار): طهر من التّعلّقات، وأصبح صالحا للتّوحيد.

---

[٦] يعني: لا يقدر ثمنه.

وأورد هذا الأثر: "مَا وَسِعَنِي سَمَائِي وَلَا أَرْضِي، وَ لَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبِ عَبْدِي المؤْمِنِ". وهذا أيضا من الكلمات الّتي تستعملها كثيرا الصّوفيّة.

فالحبّ عند أهل الإسلام؛ له بيان واضح، وسيكون هذا نهاية الكلام على هذه الرّسالة.

ما هو البيان الواضح في مسألة الحبّ؟ نضع لهذه المسألة ثلاث قواعد:

١) **القاعدة الأولى:** فإنّ محبّة ربّ الأرباب ليس مثل محبّة العباد أبدًا، ما فيها أيّ نوع من المشابهة، بمعنى: أنّ معرفة الله، ووصولك لفهم كمال الله، وأنّه لا أحد يشابهه، يعني: كماله في الرّبوبيّة، وفي الأسماء والصّفات؛ هذا سيأتي مباشرة: بتكبير الله في الألوهيّة؛ والمحبّة من التّأليه، فالمحبّة هي أصل التّأليه. فأنت لو حقّا وقع في قلبك أنّه لا مثيل له، ولا ندّ له، في أسمائه وصفاته، في ملكه وسلطانه، في جميع كمالاته؛ من الطّبيعي جدّا أن يكون حبّه مختلفا.

لا يمكن أن تكون محبّة الكامل في كلّ شيء: في حكمته، في رحمته، في كرمه، في قربه، في إجابته، في ملكه؛ لا يمكن أن تكون محبّة الكامل كمحبّة النّاقص. فهذا أوّل الأمر، أنّ محبّة الله شيء مختلف تماما عن محبّة الخلق: هو الأمان، هو الطّمأنينة، هو الرّكن الشّديد، لأهل الإيمان.

٢) **القاعدة الثّانية:** فإذا وقع في قلبك معرفة الله؛ ستبدأ تذوق معنى محبّة الله؛ وهذا الأمر يجعلك بعد ذلك - تأتي المسألة الثّانية - تصدر منك أعمال تدلّ على المحبّة.

أهمّ الأعمال الّتي تدلّ على المحبّة: أن تحبّ في الله، وتبغض في الله، وتُوالي في الله، وتُعادي في الله، تأخذ بالله، وتمنع لله - وهذا ممّا يُشكل الحقيقة! - دائما الّذي يتكلّم عن العمل النّاتج عن المحبّة؛ يتكلّم عن الأعمال الجارحيّة، وهي مهمّة جدّا، لكن المقصود الآن: أنّ ألصق الأعمال بالمحبّة الّتي وصفها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، الّتي هي متّصلة بمحبّة الله، ومحبّة ما يُحبّ الله، يعني: نجد النّاس يمكن أن يُعاتبوا أنفسهم عتابًا شديدًا حتّى يصل إلى تعذيب النّفس لو أنّهم قصّروا بعملٍ من الأعمال الظّاهرة - وهذا ليس تقليلا لقيمة الأعمال الظّاهرة أبدًا، أبدًا، لكن المقصود: أنّ كلّ شيء يوضع في مكانه؛ يُعاتبون أنفسهم هذا العتاب الشّديد، وفي نفس الوقت تجد الواحد منهم عمره ما فكّر، أو مرّ على خاطره: ما موقفه من أعداء الله؟ كم يعادي أعداء الله؟ فيشعر أنّه لا دخل له بأن يُعادي أعداء الله!

ونحن في أوّل يوم من هذه السّلسلة، سلسلة **"لقاءات العشر"** اتّفقنا أنّه لله عزّ وجلّ علينا واجبات في كلّ شيء أمر به، فلابدّ أن نحبّ التّوحيد، ونحبّ كلّ من يُحبّ التّوحيد، ونبغض الشّرك، ونبغض أهله.

فما العمل الّذي يوجب محبّة الله؟ محبّة الله توجب الوصول إلى الحبّ في الله والبغض في الله، لكن ظاهر أنّ هذا قليل النّقاش فيه، وقليل الاهتمام بإظهاره.

مثلا: في الحادثة اليوم الّتي أتت في الإعلام، كيف أنّ شاب عمره واحد وعشرون سنة يقتل عددًا هائلًا من النّاس! لكن كيف أنّ الدّماء صارت

رخيصة! هذا ممّا يزيدنا بُغضا لأهل الكفر، وتؤكد أنّ هؤلاء القوم في حالٍ من الكفر والفسق والفجور ما يكون سببًا لغضب الله ومقته لهم!

اثنان وعشرون شخصا، أربعة منهم أطفال، بدعوى العنصريّة! - فيهم المسلمون وفيهم غير المسلمين – لكن لمّا تفكّري فيه؛ ليس الآن نحن بَغَضْنَاهم لأجل أنّهم قتلوا! فالقتل صار جرما على جرم! لكن هو كافر، ويُنتظر منه أن يفعل مثل هذا! كيف لمّا تشعري أنّ المسلمين يشعرون أنّ أولئك هم القوم أهل الرّقيّ الأخلاقي! وكلّ يوم يقولون لك: (وشوارعهم نظيفة! وشوارعهم نظيفة!)! ويحتقرون المسلمين.

لابدّ أن يكون أهل الإسلام في نفسك خير من أهل الكفر، ليس هناك مقارنة بينهم. **وسورة عبس** الّتي دائما نشير فيها إلى أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عاتبه ربّه في الأعمى. ماذا تقول هذه السّورة؟ **تقول:** لمّا ترتّب أولويّاتك؛ تعرف أنّ المسلم أهمّ من الكافر، التفت وأعط المسلم كلّ نفسك، وأعط الكافر ظهرك، لا تعظّمه، لا تستورد منه أفكارًا؛ على كلّ حال فإنّ هذا موضوع كبير والدّخول فيه ما ينتهي!

الشّاهد:

- **هذه القاعدة الأولى:** أنّ حبّ الله غير حبّ المخلوقين؛ حبّ الله ناتج عن معرفة عظيمة، إذَا دخلت للقلب نوّرت الطّريق، حبّ الله ناتج عن فهم وتفسير للأحداث الّتي تمرّ علينا في أقدارنا؛ تفسيرها بما نعرفه عن الله. حبّ الله شأن آخر.

القاعدة الثّانية: أنّ حبّ الله لابدّ أن يُلزم الإنسان عملاً؛ فالعمل كلّه متّصل بالمحبّة: تحبّ ما يحبّ الله، تحبّ الصّلاة، تحبّ الصّيام، تحبّ الصّدقة، تحبّ العمرة والحجّ، تحبّ الكعبة، تحبّ إبراهيم عليه السّلام، تحبّ إسماعيل، تحبّ نوحًا، تحبّ آدم، إلى أن تحبّ كلّ مسلم لإسلامه مرورًا بمؤمن آل فرعون، ومرورًا بالصّدّيق رضي الله عنه، مرورًا بعمر، مرورًا بعثمان، مرورًا بعليّ؛ كلّ هؤلاء تحبّهم في الله؛ هذا أوثق عُرى الإيمان - سبحان الله! - ونجد النّاس - كما تبيّن -يحاسبون أنفسهم على أمور، ويتركون هذا الأمر المهمّ!

فأصبح الآن عندي قاعدتان في مسألة المحبّة؛ من أجل أن لا تختلط الأمور علينا.

٣) **نأتي للقاعدة الثّالثة:** إذا كان هذا حبّ الله، المصدر المعرفة. وكان حبّ الله يخرج إثره أعمال يقوم بها الإنسان، ويوجّه فيها مشاعره؛ يأتي الأمر الثّالث: أنّ حبّ الله عزّ وجلّ يزيد بالطّاعات والقربى، وحبّ الله ينقص بالمعاصي والبعد؛ حبّ الله له أسباب للزّيادة، وأسباب للنّقص، لكن إذَا أشرق على قلب العبد حبّ الله، فليحفظه، وليطلب الزّيادة منه، ولا يظنّ أنّه لو ذاق المحبّة في وقت، ونُوّرت له البصيرة بذلك، أنّه سيبقى العمر كلّه بهذه الحالة، لا! فإنّ حبّ الله من الإيمان أصلا.

فحبّ الله يزيد وينقص، وكلّ هذه الأمور متّصلة ببعضها البعض: الإيمان يزيد وينقص، محبّة الله تزيد وتنقص، في قلب العبد على حسب قربه وبُعده؛ فإذَا مرّت عليك أحوال، ووجدت أنّ نفسك تثور عليك،

وحصل عندك ضعف في هذه المحبّة، فسارع بطلب الزّيادة من التّوبة، والاستغفار، والإقبال على الله، **واعلم**: أنّ هذه المحبّة الّتي تطرّقنا إليها في آخر الأمر؛ إنّما هي حقيقة التّوحيد، هذه المحبّة حقيقة التّوحيد؛ أنّه هو وحده الّذي يستحقّ أن تُقبل عليه سائلاً وراجيا، وأنت تعلم أنّه ما يخذلك، ولا يدفعك؛ بل لمّا تعامله واحدًا في الأرض لواحدٍ في السّماء؛ **ستعلم**: أنّه في خلوتك، وفي اختلاطك مع الخلق؛ أنّك ذو أُنْسٍ، مُستَأْنِسٍ.

وهذا موقف بسيط يُحكى: أنّ امرأة في هذه الأيّام وقع عليها ظُلم، ثمّ طلبوا منها أن تتّخذ قرارا تجاه الظّالم، فما كان منها إلاّ أن أجّلت هذا الشّأن، وانشغلت بالأُنْس بالله، ذكرًا، وشكرًا، وعبادةً، وهي تقول بلسان حالها، ولسان مقالها: (أنّ هذه أيّام فاضلة، لو تقرّبت من ملك الملوك؛ سيرفع عنّي الظّلم بلا أيّ جهد، ولا أيّ تعب) وهذا الرّجاء في الله؛ إنّما هو من الأُنْس به، ومن معرفة قُربه، ومن معرفة أنّه الرّكن الشّديد، وأنّه الرّبّ القريب الّذي لا يخذل عباده.

فاللّهمّ ارزقنا التّوحيد، واجعلنا موحّدين حقّا. لسنا مثل اليهود والنّصارى الّذين بَنَوْا دينهم على الأماني، وظنّوا أنّهم لن يخلدوا في النّار بسبب أنّهم يهود أو نصارى! وليس بسبب أعمالهم واعتقاداتهم؛ فإنّ هذا أكثر ما يضرّ أهل الإسلام: أن يُشابهوا اليهود والنّصارى في ظنّهم: أنّ مجرّد أن يكون اسمهم مسلمون، وأنّهم في الظّاهر موحّدون، أنّ هذا يمنعهم من النّار! وما علموا أنّ اليهود والنّصارى، وخاصّة النّصارى يعتقدون أنّهم موحّدون! ولذلك دائما يكون عندهم حالة من الاضطراب في تفسير أنّ

الثّلاثة واحد لأنّهم مصرّون على أنّ دينهم دين سماوي توحيدي! وهم يقولون عن أنفسهم: (أنّهم لن يخلدوا في النّار)! بل الله عزّ وجلّ يقول أنّهم يقولون للمؤمنين: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ﴾[٦٦]؛ فيا للغرور! واليهود تقول: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا﴾[٦٧]؟! وليس هناك عهد إلاّ التّوحيد، والتّوحيد لابدّ أن يكون عقيدة صحيحة، ومسلك صحيح؛ هذا سبب عظيم جدّا جدّا من أسباب المغفرة؛ من صدق في توحيده، ووالى، وبرأ، وأقبل مجتهدا؛ مهما زلّت قدمه يعيده ربّه للطّريق، ويقوّيه.

اللّهمّ قوّ إيماننا، وارزقنا توحيدا صادقا يثقل في الميزان يوم توزن الأعمال كأعظم الجبال الرّواسي،

اللّهمّ آمين.

انتهى هذا اليوم المبارك من أيّام العشر في دراستنا، وبهذا تكون هذه اللّيلة الرّابعة من ليالي العشر، الله يحفظ الحجّاج والمعتمرين في برّهم، وجوّهم، وبحرهم، الله يوصلهم سالمين، ويحفظهم من الأعداء المتربّصين، اللّهمّ آمين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[٦٦] [البقرة ١٣٥]

[٦٧] [البقرة ٨٠]